

(الاموال والاولاد) في القرآن الكريم (دراسة دلالية)

أ.م.د. هدى صالح محمد علي

م.د. إيناس نعمان مهدي

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

(Money and Children) in the Koran (a study)

Lec. Dr. Enas Nuaman Mehdi

Ass. Prof. Dr. Huda Saleh Muhemed Ali

College of Education for girls\ University of Kufa

Inas.abosaida@uokufa.edu.iq

Abstract

The words fortune(s) and children were examined in this study as a collocation. It was necessary to include two sections and a preface entitled: ((Fortunes and children in the linguistic concept and the Quranic usage)). The first section was entitled: ((Multiplicity of wordings of *fortunes* and *children* in the context of the Quran)). The word "fortune" and "children" occurred in several forms; the plural as in (fortunes and boys), in the context of supply, gratitude and remembrance of blessings. "fortunes and children" when the address is directed to the general public or a large group of them, and in the singular when targeted at an individual or limited individuals, defined as privatized or denigrated for degradation and to diminish their position towards the grace of God in the Hereafter. The second topic, entitled "Significance of grammatical methods in the verses of fortune and children", divided into five points, the first of which was: ("Preceding fortune to children in the Qur'anic context"); as often fortune precedes children except in two places investigated by the study. The second is ((The significance of negation in the verses of fortune and children)). The third section is ((The significance of interrogative in the verses of fortune and children)), and the fourth is ((the significance of prevention in the verses of fortune and children)). The fifth section is ((The significance of conjunction to fortune and children)). Their significance was combined in the Qur'anic texts, all in the context of deception. The attractiveness of fortune on the one hand and the love of children on the other, may cause a person to fall into some resources in extreme distress or take a path that may not satisfy Allah. The grammatical methods in the verses of fortune and children varied once in question-and-answer technique and another by the meaning of denial and exclamation. The word *fortune* preceded *children* in twenty-six places, for several reasons: the verses were in the context of spending, supply, adornment, defense or convergence and other grounds for preceding. The delay was in two places; the context was love, it was more convenient in this area for children to precede fortune. The negation was mentioned in the verses of fortune and children in six places where the sentence negated was in limitation form. Prohibition occurred in three places repeating the prohibition form into *fortune* and *children*. The prohibition was reinterpreted to include children to be - as fortune - a cause of distraction from Allah, and the unrepeatable prohibition occurred in the same verse to denote prohibition of liking of fortune and children together and separately. The study ended with a set of results, conclusion, and then index of the margins with sources and references from which the research benefited. Finally we ask God Almighty to make this work purely dedicated to his holy face and service for his Holy Book

Key words: Fortunes – children- linguistic- concept- Quranic.

المخلص

يعد القرآن الكريم المعجزة الكبرى التي خلدت العربية ومنحتها الدائمة والبقاء؛ فكان عمل المفسرين وعلماء الفقه كله يصب في حيز إيضاح دلالات القرآن وبيان معانيه؛ إذ تضمن القرآن نبأ من قبلنا، وخبر من بعدنا، وحكم من بيننا فدنيا الناس على مر العصور والدهور لا تصلح بغير دين الله. وفي هذا البحث وقفة على أهم قسمين في رأس مال الحياة ونعني بهما (الأموال والأولاد) إذ يعدان من أهم مقاييس القيم الإنسانية للأفراد؛ كونهما وسيلة لامتحان الإيمان والكفر والشخصية وفقدانها.

وجاء القرآن الكريم ليجسد لنا شواهد وأمثلة كثيرة في وضع هاتين الدعامتين اللتين تعدان ركنين أساسيين في الحياة لبيان فلسفتها في الحياة الدنيا والعلاقة مع الآخرة.

عني البحث بدراسة الأموال والأولاد في حال اقترانهما فأقتضى الأمر أن تكون الدراسة في مبحثين وتمهيد عنوانه: ((الأموال والأولاد في المفهوم اللغوي والاستعمال القرآني))، أما المبحث الأول فكان بعنوان: ((تعدد صيغ لفظي الأموال والأولاد في السياق القرآني)) إذ تعددت صيغ لفظي (الأموال) و (الأولاد)، فوردا بصيغة الجمع بلفظ (أموال وبنين) وكان ذلك في سياق ذكر ألفاظ الإمداد والامتنان والتذكير بالنعمة. وبصيغة (أموال وأولاد) عندما يكون الكلام موجهاً إلى عامة الناس أو مجموعة كبيرة منهم. وبصيغة المفرد عندما تستهدف فرداً أو أفراداً محددين، معرفين للتخصيص أو منكرين للتحقير وللتقليل من شأنهما إزاء نعم الله في الآخرة.، والمبحث الثاني بعنوان (دلالة الأساليب النحوية في آيات الأموال والأولاد) وكان في خمسة محاور، الأول منها: ((تقديم الأموال على الأولاد في السياق القرآني))؛ ذلك بأن الأموال في الغالب هو اللفظ المتقدم على الأولاد، إلا في موضعين وقف عندهما البحث، والثاني ((دلالة أسلوب النفي في آيات الأموال والأولاد)) والثالث ((دلالة أسلوب الاستفهام في آيات الأموال والأولاد))، والرابع ((دلالة أسلوب النهي في آيات الأموال والأولاد)) والخامس: في (دلالة عطف الأولاد على الأموال) فكانت دلالتهم مقتربين في النصوص القرآنية جميعها في سياق الذم. وكثيراً ما يردان عند ذكر الكفار والمعاندين.، فخطورتهما تبرز عندما يقتربان؛ إذ إن جاذبية الأموال من جهة وحب الأولاد من جهة أخرى، قد يدفعان الإنسان إلى أن يقع في بعض الموارد في مضيق شديدة أو أن يسلك طريقاً قد لا يكون في رضا الله. تنوعت الأساليب النحوية في آيات الأموال والأولاد فورد أسلوب الاستفهام مرة واحدة وكانت دلالاته الإنكار والتعجب، وتقدم لفظ الأموال على الأولاد في ستة وعشرين موضعاً، لأسباب عدة منها: إن الآيات كانت في سياق الحديث عن الإنفاق، أو الإمداد، أو الزينة، أو المدافعة، أو التقرب وغير ذلك من مسوغات التقديم وتأخر في موضعين؛ إذ كان السياق في مقام المحبة، فالأولى في هذا المجال تقديم الأبناء على الأموال. وورد أسلوب النفي في آيات الأموال والأولاد في (ستة) مواضع، إذ كانت الجملة المنفية في صيغة حصر، وكان ورود أسلوب النهي في آيات الأموال والأولاد في (ثلاثة) مواضع تكررت فيها أداة النهي بالدخول على الأموال والأولاد؛ إذ أعيد النهي في الآية ليشمل الأولاد في أن يكونوا - كما الأموال - سبباً في الانتشغال عن ذكر الله، وورد النهي غير المكرر أيضاً في السورة نفسها للدلالة على النهي عن الإعجاب بالأموال والأولاد مجتمعين ومنفردين، وانتهى البحث إلى مجموعة من النتائج احتوتها الخاتمة ثم فهرست بالهوامش، وثبتت بالمصادر والمراجع التي نهل منها البحث، داعين الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وخدمة لكتابه الجليل.

الكلمات المفتاحية: الاموال، الاولاد، القران الكريم، دراسة، دلالية.

المقدمة

ففي هذا البحث وقفة على أهم قسمين في رأس مال الحياة ونعني بهما (الأموال والأولاد)، وجاء القرآن الكريم ليجسد لنا أمثلة كثيرة عن وضع هاتين الدعامتين (الأموال والأولاد) اللتين تعدان ركنين أساسيين في الحياة لبيان فلسفتها في هذه الحياة الدنيا والعلاقة مع الآخرة، وقد عني البحث بدراسة الأموال والأولاد في حال اقترانهما، فاقتضت طبيعة الموضوع أن يكون في تمهيد عنوانه: ((الأموال والأولاد في المفهوم اللغوي والاستعمال القرآني)).

أما المبحث الأول فكان بعنوان: ((تعدد صيغ لفظي الأموال والأولاد في السياق القرآني))، والمبحث الثاني بعنوان ((دلالة الأساليب النحوية في آيات الأموال والأولاد))، وكان في خمسة محاور، الأول منها: ((تقديم الأموال على الأولاد في السياق القرآني))؛ ذلك بأن الأموال في الغالب هو اللفظ المتقدم على الأولاد إلا في موضعين، وقد وقف عندها البحث مستقرناً آراء المفسرين والباحثين لبيان أسباب تقديم بعضها على بعض، والثاني ((دلالة أسلوب النفي في آيات الأموال والأولاد)) والثالث ((دلالة أسلوب الاستفهام في آيات الأموال والأولاد))، والرابع ((دلالة أسلوب النهي في آيات الأموال والأولاد)) والخامس: في (دلالة عطف الأولاد على الأموال).

وانتهى البحث إلى مجموعة من النتائج احتوتها الخاتمة ثم فهرست بالهوامش، وثبت بالمصادر والمراجع ومستخلص للبحث باللغتين العربية والانكليزية، داعين الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وخدمة لكتابه الجليل.

التمهيد

الاموال والاولاد بين مفهوم اللغوي والاستعمال القراني

بالاستعانة بمراجع اللغة والتفسير لبيان مفهوم اللغوي والاستعمال القراني لكل من المال والولد انقسمت الدراسة على مطلبين المطلب الاول الاموال: والمطلب الثاني: الاولاد.

المطلب الأول: الأموال في اللغة والاستعمال القراني:

المال لغة: المال أصله (مول) وهو (كلمة واحدة، تعني تمول الرجل: اتخذ مالا ومال يمال: كثر ماله)⁽¹⁾ وجاء في لسان العرب أنه يدل على (ما ملكته من جميع الاشياء، والجمع: اموال، قال ابن الاثير: المال في الأصل ما يمتلك من الفضة والذهب ثم أطلق على كل ما يُقتنى ويملك من الأشياء، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم.

ومال الرجل يمول ويمال مولاً ومؤولاً: إذ صار ذا المال، وتصغيره: مؤيل والعمامة تقول: مؤيل - بتشديد الياء - وهو رجل مال، وتمول مثله، وموله غيره)⁽²⁾.

يذكر المال ويؤنث، فهو المال وهي المال. ويقال: هو مال، وامرأة مالة⁽³⁾ وقد عبر النص القراني عن الأموال بلفظها الصريح وبألفاظ أخر هي:

1- الأنعام: قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء/133,134]. إذ استغني عن لفظ (الأموال) بلفظ (الأنعام)؛ إذ كان العرب أكثر ما يطلقون لفظ (المال) (على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم)⁽⁴⁾ والإبل هي (النعم ... والأنعام: ذات الخف والظلف وهي الإبل والبقر والغنم)⁽⁵⁾، ولأنها أجل نعمة لديهم، فقد عطف عليها البنين لأنهم كذلك نعمة عظيمة.

2- القناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث: في قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [إل عمران/14].

صرح تعالى في الآيات - موضع البحث - بذكر لفظ الأموال وفي هذه الآية استغني بذكر مرادفه وهو قوله: ((وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ)) والقناطر: جمع قنطار، اختلف في معناه فقيل: أصله في اللاتينية كينتال وهو ما يزن مئة رطل فضة، وقيل هو مقدار مئة ألف دينار من الذهب⁽⁶⁾، أما المقنطرة: فمبنية من لفظ قنطار يراد بها هنا الكثرة والمضاعفة والتوكيد والمبالغة، ذلك بأن اشتقاق الوصف من اسم الشيء الموصوف، إذا اشتهر صاحب الاسم بصفة، فالاشتقاق يفيد التوكيد والمبالغة في الحاصل به كقولهم: ليل أليل، يوم أيوم، وداهية دهياء، وجاهلية جهلاء⁽⁷⁾، وجاء في المحرر الوجيز انه (إشارة إلى حضور المال وكونه عتيداً فذلك أشهى في أمره، وذلك أنك تقول في رجل غني من الحيوان والأموال فلان صاحب قناطر مال ... وتقول في صاحب المال الحاضر العتيد هو صاحب قناطر مقنطرة وذلك أشهى للنفوس وأقرب للارتفاع وبلوغ الآمال)⁽⁸⁾.

(1) مقاييس اللغة: لابن فارس: 461/4: (مادة:مول)

(2) ينظر: المصباح المنير: الفيومي: 381

(3) اللسان: 385/4

(4) المصباح المنير: 399

(5) ينظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور: 39/3-40

(6) ينظر: الكشاف: الزمخشري: 263/1، والبحر المحيط: 397/2، والمزهر: السيوطي: 281/1

(7) المحرر الوجيز: ابن عطية: 387/1

(8) جمهرة اللغة: ابن دريد: 329/1 (مادة خ ل ي)

وأما قوله ((والخيل المسومة)) فالخيل: (جمع لا واحد له من لفظه، وتجمع الخيل خيول)⁽¹⁾، وقيل في معنى المسومة هي الراعية، أو هي الحسنة، أو هي المعلمة، أو هي المعدة للجهاد⁽²⁾.

وأما الحرث فهو: (الزرع وفيه معنى الكسب وهو تربية النبات، أو النبات المرى للانتفاع به في المعاش)⁽³⁾، وأما الأتعام فمر بيانها، وجميع ما صرحت به الآية هو رغبات ومطامح للإنسان وهي خير وكمال وقوة إلا أن يكون على حساب الآخرين فإنه شر وجحيم⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: الأولاد في اللغة والاستعمال القرآني:

الولد لغة: جاء في المقاييس: (ولد: أصل صحيح، وهو دليل النجل والنسل، ثم يقاس عليه غيره. من ذلك الولد)⁽⁵⁾ والولد: اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى. الولد والولد، بالضم ما ولد أياً كان، وهو يقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى، وقد جمعوا فقالوا: أولاد وولدة والدة، وقد يجوز أن يكون الولد جمع ولد. والولد، بالكسر والولد لغة وليس بجمع لأن فعلاً ليس ما يكسر على فعل. والولد أيضاً: الزهط على التشبيه بولد الظهر، وولد الرجل: ولده في معنى، وولده: رهطه في معنى. ويقال في تفسير قوله تعالى: ﴿مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي رهطه. ويقال: ولده، والولدة جمع الأولاد.⁽⁶⁾، وقال الزجاج: (الولد والولد واحد، مثل العرب والغرب، والعجم والعجم)⁽⁷⁾، ويطلق الولد على (كُلِّ مَا وَلَدَهُ شَيْءٌ وَيُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنثَى وَالْمُنْتَهَى وَالْمَجْمُوعُ فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَهُوَ مُذَكَّرٌ وَجَمَعُهُ أَوْلَادٌ وَالْوَلْدُ وَرَأْسُ فَعْلٍ لُغَةً فِيهِ)⁽⁸⁾.

وعبر النص القرآني الكريم عن الولد بلفظه الصريح وبألفاظ أخر هي:

1- البنون والأبناء: عبر النص القرآني الكريم عن الأولاد (بلفظ البنين والأبناء) في تسعة مواضع⁽⁹⁾: ثمانية منها بلفظ البنين منها قوله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً) (الكهف/46)، وموضع واحد بلفظ الأبناء وهو قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)) [التوبة/24].

والبنون: جمع (ابن) وأصله (بنو) بفتحين وهو جمع سلامة، وجمع القلة أبناء، والابن: الولد الذكر⁽¹⁰⁾.

وباستعمال لفظ (الأولاد) في مواضع واستعمال لفظ (بنين) في مواضع أخر في القرآن الكريم ما يدل على أنهما ليس بمعنى واحد، ولعل المعنى المقصود من لفظ (بنين) وهم الذكور يتجلى في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [الصافات: 149]، وقوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى¹¹ الْبَنِينَ﴾ [الصافات: 153]،. وقوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف: 16]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [الطور: 39].

إذ ميزت الآيات الكريمة الذكور من الإناث فاستعمل القرآن الكريم لفظ (البنين) ولم يقل (الأولاد) ليدل على الذكور ولفظ البنات ليدل على الإناث، ولا شك في أن البنات والبنين من مواهبه تعالى وعطائه ولا تفاوت ولكنهم كانوا يحقرون البنات ويبدونهن استنكافاً

(1) ينظر: تفسير التبيان: الطوسي: 412/2، والمخصص: ابن سيدة: 29/2، تهذيب اللغة: الأزهرى: 335/4

(2) الميزان: الطباطبائي: 105/3

(3) ينظر: التفسير المبين: محمد جواد مغنية: 64

(4) مقاييس اللغة: 143/6 (مادة: ولد)

(5) ينظر: اللسان: 4353/4 (مادة: ولد)

(6) معاني القرآن واعرابه: الزجاج: 230/5

(7) المصباح المنير: 437

(8) المدثر: 12-13، القلم: 14، المؤمنون: 55، الأسراء: 6، نوح: 12، الشعراء: 88، آل عمران: 14

(9) ينظر: تهذيب اللغة: 217/5 (مادة بني)، والمصباح المنير: 45، وشرح الشافية: ابن الحاجب: 68/2، المعجم الوسيط: 72

(10) ينظر: الكشاف: 488/5، البحر المحيط: 549/6، التفسير الكبير: 266/20

منهن ولا يحتملون نسبتهن وينسبون إليهم الذكر كما في قوله تعالى (أَلَمْ يَكُنْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى) [النجم/21]، ويعدون الأناث أدنى الجنسين وأوضاعهما⁽¹⁾ قال تعالى: ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)) [النحل/58] وهي عادة جاهلية ولو خيروا لاختاروا لأنفسهم ما يشتهون وهم الذكور، قال تعالى: ((وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)) [النحل/57].

ولم يأت لفظ البنين في الآيات - موضع البحث - الا ليدل على هذا المعنى، فخطبهم في هذه الآيات بالأقرب إلى قلوبهم وبما يحبون وهم البنون؛ فجاء لفظ (البنين) في مواطن التذكير بالنعم في سياق آيات الإمداد المذكور لفظاً كما في قوله تعالى: ((أَمْ دُنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)) [الاسراء/6].

وقوله تعالى: ((وَيُؤَدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ)) [نوح/12] وقوله تعالى: ((أَمْ دُنَاكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ)) [الشعراء/133].

أو المفهوم ضمناً كما في قوله تعالى: ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) [الكهف/46] أي إمداده تعالى لهم بنعمة الأموال ونعمة الأولاد الذكور - وسيرد بيان دلالة ذلك بالتفصيل في موضعه من البحث -⁽²⁾.

فتبين أن لفظ البنين هنا مختص في دلالته بالذكور من الأولاد، وقد أشار إلى هذا المعنى ابو هلال العسكري مرفقاً بين لفظي (الابن والولد) إذ يقول: (الابن يفيد الاختصاص ومداومة الصحبة الولد يقتضي الولادة ولا يقتضيها الابن والابن يقتضي أبا والولد يقتضي والدًا، ولا يسمى الانسان والدا إلا إذا صار له ولد وليس هو مثل الاب لانهم يقولون في التكنية أبو فلان وإن لم يلد فلاناً ولا يقولون في هذا والد فلان والابن للذكر والولد للذكر والانثى الاول للذكر، والثاني يقع على الذكر والانثى، والنسل والذرية يقع على الجميع.)⁽³⁾

مما تقدم فإن استعمال لفظ (البنين) في الآيات - موضع البحث - بصيغة الجمع هو للدلالة على المعنى الأصلي له والمقصود به الذكور، ويفهم من هذا أنه قد يراد من لفظ (الأولاد) الدلالة على الذكور فقط أو مجموع الذكور والأناث، وهذا يدل على شمولية دلالة لفظ الأولاد وسعته، وخصوص دلالة لفظ البنين، فدلالة لفظ الأولاد أعم من دلالة لفظ البنين.

2- النفر: عبر النص القرآني عن الأولاد بلفظ (نفر) في موضع واحد فقط في قوله تعالى: ((أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)) [الكهف/34] وقوله ((نفرًا)) (بالتحريك، والرهمط: ما دون العشرة من الرجال، ومنهم من خصص فقال: للرجال دون النساء)⁽⁴⁾. وقيل: (حشماً وأعواناً، وقيل: أولاداً ذكوراً... وتخصيص الذكور لأنهم الذين ينفرون معه لمصالحه ومعانته)⁽⁵⁾، والأخير هو المعنى المراد بما دل عليه ما يقابله في جواب صاحبه المؤمن ((أقل منك مالا وولداً))⁽⁶⁾، ولعل ورود لفظ (نفر) بدلاً من (ولد) هو لمناسبة السياق إذ قال: ((أكثر مالا وأعز نفراً)) لما في لفظ (نفر) من جاهة تناسب الافتخار وهو الفخر من الكافر على المؤمن بكثرة الأموال والعزة بكثرة الرجال إذ (هو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة)⁽⁷⁾ فالآية تبين حواراً بين المؤمن الموحد والكافر عديم الإيمان، قال تعالى: ((وَكَانَ لَهُ تَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)) [الكهف/34] فان هذا الأخير كلما وعظه المؤمن وذكره بالإيمان والعمل الصالح فإنه يراجع بالتطاول وبالفخر عليه بما أوتي من ثروة وقوة بشرية من العشيرة والأنصار، إذ قيل إنَّ النفر: هو عشيرة الرجل، وقد تبين أنهم ولده؛ بما حكاه الله تعالى من قول صاحبه (المؤمن)، وهو قوله تعالى: ((وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرْنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى

(1) ينظر: المبحث الأول: ص7 وص10

(2) ينظر: الفروق اللغوية: ابو هلال العسكري: 12_13

(3) اللسان: 3981-3980/4

(4) روح المعاني: 261/8

(5) ينظر: الميزان: 309/13، والتحرير والتنوير: 66/15

(6) اللسان: 3981/4، وينظر: المصباح المنير: 401

(7) المخصص: 39/3

رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنْ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا)) [الكهف/39-40] وهي جملة ابتدائية يعظه فيها ويرد عليه من جهة ما استعلى عليه بأنه أكثر منه ((مالاً وأعرّ نفراً))

3- الأهل: عبر النص القرآني عن الأولاد بلفظ الأهل في موضع واحد هو قوله تعالى: ((سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (11) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا)) [الفتح/11,12]، فقيل: ((الولد هم الابن والابنة والولد هم الأهل))⁽¹⁾.

تشير الآية إلى أن قوماً من الأعراب امتنعوا من الخروج مع الرسول (ص) لظنهم أنه يهزم، ولكنهم أخفوا ذلك واعتذروا فقالوا: ((شغلنا أموالنا)) بالضمير (نا) ولم يقولوا: ((شغلنا الأموال)) إذ إن جمع الأموال -مطلق الأموال- لا يصلح أن يكون عذراً لأنه لا نهاية له، وبعطف قولهم ((أهلونا)) على قولهم ((أموالنا)) صار العذر أقوى فالانشغال بالأهل وحفظهم قد يبلغ درجة أقوى عند الاعتذار من متابعة الرسول (ص) من الاشتغال بالمال وحفظه ثم إنهم مع العذر تضرعوا وقالوا: ((فاستغفر لنا)) فقد أبطنوا بطلب الاستغفار نفاقهم: ففضحهم الله بجبنهم وكذبهم.⁽²⁾

المبحث الأول

تعدد صيغ لفظي الأموال والأولاد في النص القرآني

وردت ألفاظ الأموال والأولاد بصيغ مختلفة كأن يأتيان بصيغة الجمع، وقد يأتيان بصيغة الإفراد وبالتعريف، أو التذكير أحياناً، كما ورد استعمال لفظ (أولاد) في بعض الآيات ولفظ (بنين) في آيات أخر. وليبيان علّة ذلك نورد الآتي:

أولاً: لفظ (الأموال) مع لفظ (البنين) بصيغة الجمع:

وردت هاتان الصيغتان حيث ورد ذكر النعمة، من نحو ذكر ألفاظ الامداد أو التذكير بها أو الامتتان. قال تعالى: ((وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)) [الاسراء/6]، وقال: ((وَيُؤْمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)) [نوح/12]، وقال: ((أَمْدَكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ)) [الشعراء/133] ولفظ (الأنعام) يرادف لفظ (الأموال) عند العرب قديماً.

والمد معناه الجر، يقول ابن فارس: (الميم والبدال أصل واحد يدل على جرّ شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استئطالة. تقول: مددت الشيء أمده مدّاً. ومدّ النهز، ومدّه نهز آخر، أي زاد فيه وواصله فأطال مدته. وأمّدت الجيش بمدّ).⁽³⁾ وعن الراغب أنّ الإمداد يأتي في المرغوب والمد في المكروه، نحو قوله تعالى: ((وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ)) [الطور/22] وقوله: ((وَأَمْدَدُّ لَه مِنْ الْعَذَابِ مَدّاً)) [مريم/79]⁽⁴⁾.

فهذه المعاني وهي الزيادة المتصلة وإتمام النقص والحيلولة دون القطع وإيصال الشيء إلى نهايته ومجيئه في المحبوب، يناسبه ورود (المال) بصيغة الجمع (الأموال) للدلالة على الكثرة والنعم الوفيرة.

فالإمداد وعطاء الله وإعطاؤه نعمة، والبنون نعمة. وقد خصّ ذكرهم بلفظ (البنين) لما له من خصوصية ليدل على الأولاد الذكور، لأنهم مصدر التفاخر والسرور والدفع والقوة، وبهم تدار الأعمال من زراعة وتجارة وفي الحروب والإغارة.

(1) التفسير الكبير: الرازي: 76/28

(2) مقاييس اللغة: 269/5

(3) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني: 763

(4) ينظر: تفسير التبيان: 78/10

ثانياً: لفظ (الأموال) مع لفظ (الأولاد) بصيغة الجمع:

ترد هاتان الصيغتان حين يكون الكلام موجهاً إلى عامة الناس أو مجموعة كبيرة لما فيه من مراعاة التناسق في الجملة القرآنية (أموال وأولاد)، ولأن الجمع يدل على الكثرة التي هي سبب طغيانهم وافتخارهم واستكبارهم وافتتانهم، لذا جرى في هذه الآيات جميعها تخصيص الأموال والأولاد بضمائر تعود على المجموعة المخصوصة من هؤلاء الناس. كقوله تعالى: ((إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ)) [التغابن/15] وقوله: ((أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ)) [إل عمران/10] وقوله: ((أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا)) [الفتح/11] أي الخاصة بهم أو العائدة إليهم المخصوصة بهؤلاء الكفار، فضلاً عن أن الجمع يناسب السياق، كالاشتغال والتلهي بالأموال والأولاد كما في (الفتح/11) وفي (المنافقون/9)، وكالتكاثر والتفاخر والطغيان والإغراء كما في (الحديد/20) و (التوبة/69) و (الإسراء/64)، وكالفتنة والافتتان والاعجاب كما في (الانفال/28) و (التغابن/15) و (التوبة/55) و (التوبة/85) وكالتقرب والمدافعة والإغناء كما في (سبأ/37) و (إل عمران/116/10) و (المجادلة/17).

ثالثاً: لفظ (المال) بصيغة المفرد:

ويأتي في الآيات التي تستهدف فرداً أو أفراداً محددين أو مجموعة محددة من الأشخاص وعلى هذا النحو جاء مرة مع لفظ (بنين) وأخرى مع لفظ (ولد).

أ) الأمثلة على القسم الأول: استعمال لفظ (مال) مع لفظ (بنين):

قوله تعالى: ((أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ)) [القلم/14]

وقوله تعالى: ((وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (12) وَبَنِينَ شُهُوداً)) [المدثر/13-14] إذ جاءت الآيتان بلفظ (مال) مع لفظ (بنين) للسبب المذكور سابقاً، إذ إن الآيتين كما قيل في سبب نزولهما أنهما نزلتا في الوليد بن المغيرة⁽¹⁾ فضلاً عن الخصوصية، أي إن المدد مقصود وهو امتنان الله ونعمه، فإله تعالى قاصد ذكر النعمة فهو يذكر بها، أي إن الوليد بن المغيرة قد خصّ بنعمة المال ونعمة الأولاد الذكور.

فمعنى قوله: ((ممدوداً)) يدل على أنه ذو ثراء واسع ودائم، وهو اسم مفعول من (مدّ) الذي بمعنى (مبسوط) بأن شبّهت كثرة المال سعة مساحة الجسم، يقال: شيء مديد أي (ممدود، ورجل مديد الجسم: طويل ورجل مديد القامة: طويل القامة)⁽²⁾، أو من (مدّ) الذي بمعنى: زاد في الشيء من مثله (يقال لكل شيء دخل فيه مثله فكثره مده يمهده وما والشيء إذا مد الشيء فكان زيادة فيه، فهو يمهده)⁽³⁾ أي مالاً مزيداً في مقداره، فقد أنعم الله على الوليد بأنه كان واسع الثراء، فكان له من الأموال بين مكة والطائف الإبل والنعم والعبيد والجواري والجنان وكانت غلّة ماله الف دينار، وتفضل عليه بنعمة البنين فقيل: له عشرة من الأولاد الذكور وقيل: ثلاثة عشر ولداً ذكراً⁽⁴⁾، فوصفهم الله تعالى بقوله: ((شهوداً)) جمع (شاهد) بمعنى حاضر (أي وأولادا ذكورا معه يستمتع بمشاهدتهم وينتفع بحضورهم وقيل كان بنوه لا يعيرون عنه لغنائهم عن ركوب السفر في التجارة بخلاف من هو غائب عنهم)⁽⁵⁾، أما تذكير الله له بنعمه عليه في آية القلم فللتحذير من شره فإله ﷻ وصفه في هذه الآية بما فيه من نقائص إذ قال: ((وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُنُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ)) [القلم/10,11,12,13,14] فيحذر الله هنا من غدره لأنه استعمل أمواله وأولاده لأجل الطغيان والاستكبار والابتعاد عن الحق. وأما في آية المدثر فقد وصف بما له من النعمة

(1) اللسان: 4 / 3678.

(2) اللسان: 4 / 3678.

(3) ينظر: تفسير التبيان: 10/175-176.

(4) المصدر نفسه 10/176.

(5) ينظر: التحرير والتنوير: 29/283.

والسعة لان الآية الكريمة في سياق الامتحان عليه توطئة لتوبيخه وتهديده بسوء في الدنيا ويعذاب النار في الآخرة. فقال: ((سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا)) [المدثر/17] ثم قال بعد ذلك: ((سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)) [المدثر/26]⁽¹⁾.

(ب) الأمثلة على القسم الثاني: استعمال لفظ (مال) مع لفظ (ولد) وهي:

قوله تعالى: ((أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)) [الكهف/34]

وقوله تعالى: ((إِنْ تُرِينِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا))؟ [الكهف/39]

وقوله تعالى: ((مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا)) [نوح/21]

وقوله تعالى: ((وَقَالَ لِأُوتَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا)) [مريم/77]

وإنما ذكر لفظ (ولد) مفردا في الآيات جميعها هو للتقليل من شأنه وتحقير أمره، وكذا لفظ (مال) فقد جاء مفردا للسبب نفسه وهو التحقير والسبب المذكور سابقاً وهو استهداف الآيات فرداً أو مجموعة من الافراد محددين وهذا ما تبين في الآيات الكريمة، فضلاً عن التناسق في الجملة القرآنية (مال وولد).

* / مسألتان:

قد يجد الناظر في الآيات من سورة (المؤمنون /55)، (والكهف/46)، (والشعراء /88) خروجاً عما سبق من علل، ولكن بامعان النظر في السياق يتبين الآتي:

أ / في آية الاستدراج وهو قوله تعالى: ((أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ)) [المؤمنون/55] جاء لفظ (المال) مفردا مع ورود لفظ (الإمداد) إذ مر في الآيات التي ورد فيها لفظ الإمداد استعمال لفظ (المال) مجموعاً أي بصيغة (أموال) * وقد ورد في هذه الآية استعمال لفظ (نمّد) وهو مشتق من (الإمداد) وهو إغداق النعم، أي البنون وهم الأولاد الذكور وكثرة الأموال؛ فقوله: ((نُمِدُّهُمْ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ)) إنما جاء هنا لفظ المال مفردا مع لفظ بنين للدلالة على:

1- التخصيص وللتذكير بنعمة الله لأجل أن لا تكفر النعمة؛ إذ إن (من) هنا بيانية ل(ما) التي بمعنى (الذي).

2- التقليل من شأن المال ومن قيمته فضلاً عن هذا التذكير الذي هو زيادة في تحقيره فإله تعالى يذكر بمنه ونعمه وفي الوقت نفسه يقلل من شأن هذا المال لبيان أن هذا المال غير المنقطع والمتواصل وهو المدد الإلهي العظيم في الدنيا قليل أزاء نعم الآخرة أي تضاهيه نعم عظيمة في الآخرة، وكونه حقيراً لأنه يجرحهم إلى عقاب الله وعذابه.

فالكافرون يتصورون أن أموالهم الوفرة وكثرة أولادهم التي هي من نعم الله دليل على أنهم على حق ودليل على قرب منزلتهم من الله وانهم لا يدركون أنما هي نوع من العذاب أو مقدمة للعذاب؛ إذ إن زيادة النعمة من شأنها أن تزيد من حجب الغفلة والغرور، فتمنعهم من العودة إلى طريق الصواب⁽²⁾ وهذا الذي حصل ل(بلتعة بن حاطب) وهو من المنافقين حين سأل رسول الله (ص) الدعاء له بسعة الرزق وحينما أثري كان يمتنع من دفع زكاة أنعامه فأبى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أن يقبل منه بعد ذلك، وحين جاء بصدقته لم يقبلها منه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فقال الله تعالى: ((وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) [التوبة:75,76,77]⁽³⁾.

وهذا ما أشارت إليه معظم آيات القرآن في مسألة الاستدراج في النعم، قال تعالى: ((وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا

يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)) [الاعراف/182,183]

(1) ينظر: الامثل: الشيرازي: 325/10

(2) ينظر: تفسير التبيان: 262/5

(3) في المبحث الاول اولاً.

ب/ في قوله تعالى: ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا)) [الكهف/46]. وفي قوله تعالى: ((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) [الشعراء/88]. استعمل اللفظ (بنون) مع عدم ذكر لفظ (الإمداد) فضلاً عن افراد لفظ (مال)، وقد مر * ان لفظ البنين لا يأتي الا في موضع الامداد واذا كان كذلك فلا بد من جمع لفظ المال وعليه يمكن القول:

- 1- المراد هنا هو (الإمداد) وإن لم يصرح به، فبدل أن يقول: ما أمددناكم به من المال والبنين، قال: ((المال والبنون)) أي المال المعطى من الله، لأن المال والبنين يذكران في موضع النعمة، فيريد أن يخصص أن هذه النعم الممددة لكم هي من الله وليست منكم وانها لا قيمة لها إزاء النعم الإلهية في الآخرة.
- 2- التخصيص، أي أن المال والبنين جنس مخصوص يراد به الخصوصية وليس العموم لإعطاء فكرة عن المقصود بنفسه دون غيره فهذا المال الممد وما يدل عليه من (إبل، ونعم، وذهب وفضة وغير ذلك)، كذا البنون وهم جنس الذكور من الأولاد هي كلها من نعم الله. وقد جاء في الآية الأولى ب(ال) زيادة في التخصيص كونها زينة الحياة الفانية المحترقة وشأن الزينة إلى زوال والذي ينفع هو الباقي، والباقي هو الصالح من الأعمال.
- 3- التقليل من شأن المال وهو وروده بلفظ المفرد فكونه نعمة لا بد انه عندهم عظيم فاراد الله التقليل من قيمته فجاء مفرداً في الآيتين فضلاً عن ورود اللفظين (المال والبنين) نكرتين في الآية الثانية زيادة في التحقير، لأن المقام مقام تكبير بالآخرة وهو يوم اللقاء، إذ إنهما لا يعدان امتيازاً في ميزان الله لأن أفضل ما ينجي يوم القيامة هو القلب السليم (قلب الإنسان وروحه) أي الإيمان والنية الخالصة ويحتوي كل ما يكون من عمل صالح⁽¹⁾.

رابعاً: استعمال صيغة الجمع (أبناء) بدلاً من صيغة (بنين): وذلك في موضع واحد في قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)) [التوبة/24] جاء لفظ الأبناء بصيغة جمع القلة، ليوافق ما تقدمه وما جاء بعده من ألفاظ؛ لما فيه من مراعاة التناسق في الجملة القرآنية (آبَاؤُكُمْ، وَأَبْنَاؤُكُمْ، وَإِخْوَانُكُمْ، وَأَزْوَاجُكُمْ) ولو استعمل القرآن الكريم لفظ (البنين) وهو جمع سلامة لخرجت الآية من روعة التناسق والانسجام بين الألفاظ المذكورة.

المبحث الثاني

دلالة الأساليب النحوية في آيات الأموال والأولاد

أولاً: تقديم الأموال على الأولاد في النص القرآني

أشار الله تعالى في هذه الآيات المباركات إلى أهم طاقتين تحركان عجلة الحياة وتؤديان إلى ديمومتها واستمرارها هما: الطاقة المادية المتمثلة بالمال وما يقترب إلى هذا المعنى، والطاقة البشرية وأفضل مصاديقها الأولاد، إذ إن (أنفع الجمادات هو المال وأنفع الحيوانات هو الولد)⁽²⁾، أما بقية الإمكانات المادية فتتفرع من هاتين الطاقتين.⁽³⁾ وعند النظر في الآيات جمعياً، نرى حيثما اجتمع ذكر المال والولد تقدم المال أو مرادفه عليه إلا في موطنين سيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى.

وهذا التقديم نراه في المواطن الآتية:

1- الإمداد والامتنان والإنعام، كما في الآيات البيئات الآتية:

قال تعالى: ((وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (12) وَبَنِينَ شُهُوداً)) [المدثر/12_13]

(1) ينظر: الأمتل: 289/11

(2) التفسير الكبير: 355/4

(3) ينظر الأمتل: 439/2

- وقال: ((عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِيبَ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ)) [القلم/14]
- وقال: ((أَيَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ)) [المؤمنون/55]
- وقال: ((أَمْذُنَّاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)) [الاسراء/6]
- وقال: ((وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ)) [نوح/12]
- وقال: ((أَمْذَكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ)) [الشعراء/133].
- 2- الزينة: قال تعالى: ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) [الكهف/46] فقد قدم المال؛ لأنه اجلى مصدر للتفاخر ويتضح هذا في وصف الله تعالى قارون وزينته وانبهار ضعاف الإيمان بها ووقعها في نفوسهم, اذ قال تعالى:
- ((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَأُوْحَظُّ عَظِيمًا)) [القصص/79]
- 3- الاستكبار والطغيان: قدم المال هنا كونه المسجد الحقيقي لهاتين الصفتين, يقول تعالى: ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ
- وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)) [الحديد/20]
- وقال: ((فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)) [الكهف/34]
- وقال: ((إِن تَرَىٰ اِنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا)) [الكهف/39]
- وقال: ((رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا)) [نوح/21]
- وقال: ((كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا)) [التوبة/69]
- وقال: ((أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)) [مريم/77]
- 4- الفتنة: فالافتتان بالمال أشد والانشغال به أكثر من الولد لذلك كان مقدماً, قال تعالى: ((واعلموا إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)) [الأنفال/28]
- وقال تعالى: ((إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ)) [التغابن/15]
- وقال تعالى: ((فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ)) [التوبة/55]
- وقال تعالى: ((وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ)) [التوبة/85]
- وقال تعالى: ((شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا)) [الفتح/11]
- وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) [المنافقون/9]
- 5- المدافعة والتقرب, إذ قال تعالى: ((نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ)) [سبأ/35] وقال: ((وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُكُمْ عِنْدَنَا رُفْقًا)) [سبأ/37] وقال: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)) [إل عمران/10,116]
- و[المجادلة/17], وقال: ((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) [الشعراء/88]
- 6- الوسوسة: فالمال يعد أحسن وسائل الشيطان في وسوسته وأسهلها في الإغراء قال تعالى: ((وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)) [الاسراء/64].

وقد أورد المفسرون أسباب تقديم الأموال على الأولاد وأجملها الألوسي عند تفسيره قوله تعالى: ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) [الكهف/46] قال: (وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه عند أكثر الناس لعراقته فيما نيظ به من الزينة والإمداد وغير ذلك. وديمومته بالنسبة إلى الأفراد والأوقات فإنه زينة وممد لكل أحد من الآباء والتزيين في كل وقت وحين، وأما البنون فزينتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ الأبوة ولأن المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه أقدم في الوجود ولأنه زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو أضييق حال ونكال⁽¹⁾).

ومما تقدم نخلص إلى أن المعنى الواسع والشامل للمال عند العرب جعله في المقام الأول في تصريف شؤون حياتهم فالأموال هي السبب في بقائهم، وهي مصدر رخائهم ورغيد عيشهم أما البنون فبهم يكون أنسهم وعونهم وهم الحفظة للأموال ومنموها؛ لذا قدّم الأموال عليهم وهكذا يبدو الترتيب مناسباً للسياق القرآني.⁽¹⁾

أما تقديم الأبناء على الأموال فورد في موضعين، هما:

- 1- قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)) [التوبة/24].
- 2- قوله تعالى: ((زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)) [إل عمران/14]

صرح تعالى في الآية الأولى بذكر لفظ (الأموال) بقوله: ((وأموال)) وفي الآية الثانية استغني بذكر مرادفه وهو قوله: ((والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرب)).

وإتاما قدم الأبناء على الأموال لأن الآيتين كما هو جلي للمتدبر انما وردتا في مقام المحبة ولا شك أنّ الحب مجاله العاطفة وهذه أولى أن تكون بينهم وبين من ذكروا ثم (إن إيجاد حب الزوجة والولد في قلب الإنسان حكمة بالغة فإنه لولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل ولأدى ذلك إلى انقطاع النسل)⁽²⁾ فتبادل العاطفة وما فيها من حب هو الدافع والمحرك للغرائز وهذه لا تحصل إلا بين الكائنات الحية وفي مقدمتها الإنسان.

ثانيا: أسلوب النفي في آيات الأموال والأولاد

ورد أسلوب النفي في آيات الأموال والأولاد في (ستة) مواضع *، منها قوله تعالى: ((وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعدّبين (35) قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُرْقَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ غَيْرُ الصَّغْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ)) [سبأ/35,37] فيظن الكافرون أنهم بامتلاكهم الأموال والأولاد أنهم أكرم عند الله فلا يعاقبهم ولا يعذبهم فقالوا: ((وما نحن بمعدّبين))، وقد استعمل حرف العطف هنا لتحصل الفائدة المستقلة للتوصل إلى أنهم غير معدّبين بسبب وفرة النعيم والثروة التي يملكونها في الدنيا، وقد تبين جهلهم بقوله: ((قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)) وليس كما يظنون، ثم جاء بالجملة المنفية في صيغة حصر بتعريف المسند إليه والمسند بقوله: ((وما أموالكم ولا أولادكم)) نافياً قولهم ((نحن أكثر أموالاً...)) فكأنّ كلامهم في قوة حصر التقريب إلى الله في كثرة الأموال والأولاد فنفي ذلك بأسره، وزيادة في توكيد النفي للأموال والأولاد كرر حرف النفي (لا) بعد العاطف ليفيد أن الفعل منفي عنهما⁽³⁾؛ ليكون كل منهما مقصوداً كونه منفياً عنه إنه يقرب إلى الله. والمقصود بالقرب هنا الشرف والمقام الرفيع لا القرب المكاني ذلك بأنه تعالى استعمل الظرف (عندنا) وأكدّه بقوله: ((زلفى)) وهو اسم للقرب، بمعنى المفعول المطلق اي تقربكم عندنا (قربى أو تقريباً).⁽⁴⁾ يتبين بعد ذلك أن معيار القرب عند الله هو الايمان والعمل الصالح، ومثله قوله تعالى: ((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) [الشعراء:88] وقد خص الله هنا (القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد والمعاصي)⁽⁵⁾.

وورد النفي ايضا في قوله تعالى: ((وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَرِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا)) [نوح/21] لأنهم استعملوها في تأييد الكفر والفساد؛ ينقل عن قتادة قوله: (مُكِرَ وَاللَّهُ بِالْقَوْمِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فَلَا تَعْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَلَكِنْ اعْتَبِرُوهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ

(1) ينظر: الأمثل:303/11، والتحرير والتنوير: 177/19

(2) التفسير الكبير: 135/4

* ينظر: آل عمران:10، وآل عمران:116، والمجادلة:17

(3) ينظر: مغني اللبيب: ابن هشام: 464/1

(4) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: العكبري: 168/2

(5) التبيان: 32/8

الصَّالِحِ⁽¹⁾ قيل: واستدل بهذه الآية: (انه ليس لله على الكافر نعمة لأن هذه النعم استدرجات ووسائل إلى العذاب الأبدي فكانت كالعدم)⁽²⁾ لذا لم تزدهم إلا خسارا.

ثالثاً: دلالة أسلوب الاستفهام في آيات الأموال والأولاد

ورد أسلوب الاستفهام في آيات الأموال والأولاد مرة واحدة في قوله تعالى: ((أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا)) [مريم/77].

أشارت الآيات السابقة لهذه الآية إلى حال الكفار في المجتمع الجاهلي بأنهم يظنون أن في الإيمان شؤماً عليهم على عكس الشرك، وتفرعت عن تلك الآيات الآية -محل الحديث- إذ قيل انها نزلت في العاصي بن وائل الذي صنع له خباب بن الارت -وكان قد اسلم- سيفاً، وحين جاء يتقاضى دينه منه، وعده العاصي بأن لا يعطيه الدين إلا إذا كفر فقال له خباب وهو غاضب: لا اكفر حتى يمينتك الله ثم يبعثك. فتهكّم العاصي من مسألة البعث؛ إذ إن المشركين غير مؤمنين بالبعث، فقال مستهزئاً: إذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك أقضيك دينك! لذا جاء قوله تعالى في أول الآية مبدوءاً باستفهام يلفت (الذهن إلى معرفة هذه القصة أو تذكرها إن كان عالماً بها)⁽³⁾ فيه تعجب من كفر هذا الكافر، وقد فرعه بفاء التفریع على ما تقدمه من قول المشركين وسوء ظنهم بالإيمان لافتا الذهن إلى ما يظنه الكافر بما أنزل إليه من الآيات من أوهام وكذب وافتراء، فإنه يقسم قائلًا: (لَأُوتِيَنَّ) مؤكداً قسمه باللام ونون التوكيد زاعماً إنما بقاؤه على كفره سيؤدي به إلى ما يأمله من عزة وقدرة، فيرد عليه سبحانه بعد ذلك نافيًا زعمه وأوهامه بقوله: ((أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)) [مريم/78] باستفهام إنكاري وتعجبي بأن ذلك رجم بالغيب لا طريق له إلى العلم فلا يطمئن ولا يأمل أي خي⁽⁴⁾، والنفي مستفاد من معنى الاستفهام الإنكاري الذي هو بمعنى حرف النفي؛ فأقادت هذه الهمزة المشوبة بالإنكارن في ما بعدها⁽⁵⁾ فلا يخفى ما في هذا الاستفهام من السخرية من هذا الكافر الذي يبلغ به الحال مع دن وقدره وتفاهة أمره أن يرتقي إلى الغيب المجهول ف(يقبس حاله في الآخرة التي لا يدري عنها شيئاً على خاله في الدنيا)⁽⁶⁾.

رابعاً: دلالة أسلوب النهي في آيات الأموال والأولاد

ورد أسلوب النهي في آيات الأموال والأولاد في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) [المنافقون/9].

بإمعان النظر في الآية الكريمة تراها خرجت عن مقتضى الظاهر بإسناد الفعل إلى غير فاعله، فيبدو النهي موجهاً للأموال والأولاد والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون أي: لا تلتفتوا بالأموال والأولاد⁽⁷⁾ والظاهر أن توجيه النهي إليهما إنما للمبالغة في نهى المؤمنين ليحذرهم من مغبة الوقوع في ما يفسد علاقتهم بخالقهم ﷻ الذي نتيجته الخسران.

ويظهر أن الآية جاءت في سياق الحديث عن الإنفاق لذا ورود ذكر الأموال أولاً هو الأنسب بحسب السياق ولكنه تعالى أعاد النهي ليشمل الأولاد في أن يكونوا - كما الأموال - سببا في الانشغال عن ذكر الله، فتكرر (لا) جعل النهي قطعياً عن كليهما، وأكد قوله ﷻ بـ((ذلك)) إشارة إلى الله عن ذكر الله ومن ثم بـ((أولئك)) إشارة لهم، واستعمال اسم الإشارة الدال على البعيد إنما هو تحقير لهم وتقليل درجتهم بسبب هوامهم وبعدهم عن ذكر الله، كذلك استعمال ضمير الفصل⁽⁸⁾ (هم) في قوله: ((هم الخاسرون)) ليفيد قصر صفة الخسران عليهم بإيثارهم الفاني على الباقي، ومن مواضع النهي أيضاً نهى الله الناس عن الاقتتان والإعجاب بثروات المنافقين

(1) البحر المحيط: 264/8

(2) التفسير الكبير: 60/16

(3) التحرير والتنوير: 76/16

(4) ينظر: تفسير التبيان: 130/7، والميزان: الطباطبائي: 104_103/14

(5) ينظر: المعنى: 25/1، وشرح ابن عقيل: 197/1، ومعاني النحو: فاضل السامرائي: 302

(6) همزة الاستفهام في القرآن الكريم: عبد الرؤوف اللبدي: 173/1، وينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش: 645/4

(7) ينظر: الجملة العربية والمعنى: د. فاضل السامرائي: 117

(8) ينظر: المفصل: الزمخشري: 172

والكفار وكثرة أولادهم ذلك بأنه يحقق النفاق ويعمقه. فجاء تنبيه القرآن الكريم على عدم استحسان إنفاق الكفار والمنافقين والافتتان بكثرة أموالهم وأولادهم إذ قال الله تعالى: ((فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)) [التوبة/55] الخطاب لرسول الله (ص) والمراد فيه تنبيه المؤمنين على أن لا يُغْرُوا بثروات المنافقين والكفار المادية والبشرية فتكون سبباً في تحقيق نفاقهم.

وقد تكررت الآية في السورة نفسها وفيها حذف (لا) الداخلة على (أولادهم) كذلك حذف لام التعليل الداخلة على يعذبهم وفيها سبق لفظ الحياة قوله ((الدنيا)) وهو قوله: ((وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)) [التوبة/85]، فأما تكرار (لا) فانه (مشعر بالنهي عن الإعجاب بكل واحد على انفراد، ويتضمن ذلك النهي عن المجموع وهنا سقطت فكان نهياً عن الإعجاب بالمجموع، ويتضمن ذلك النهي عن الإعجاب بكل واحدٍ واحدٍ. فدلت الآيتان بمنطوقهما ومفهومهما على النهي عن الإعجاب بالأموال والأولاد مجتمعين ومنفردين)⁽¹⁾ ويشير الرازي إلى ان الفائدة من ورود لام التعليل في الأولى وسقوطه في الثانية هو (التنبيه على أن التعليل في أحكام الله تعالى محال، وانه أينما ورد حرف التعليل فمعناه (أن) كقوله: ((وما أمروا إلا ليعبدوا الله)) [البينة/5] أي وما أمروا إلا أن يعبدوا الله)⁽²⁾.

وذكر المفسرون سبب ورود لفظ الحياة في الأولى وعدم وروده في الثانية هو إنما ذكرت على الأصل وحذفت تنبيهاً عن خستها ودنايتها أو حين تقدمها ذكر الموت فناسب ذلك ان لا تسمى حياة⁽³⁾ يستفاد من الآيتين الإشارة إلى أن الأموال والأولاد كونهما شاغلين للإنسان فلا يعدان من النعم التي تهتف لسعادته بل هما من النقم التي تؤدي إلى الشقاء. فإن الله الذي خولهم إياها إنما أراد بها تعذيبهم في الحياة الدنيا، وتوفيقهم وهم كافرون (فغاية إعراض الإنسان عن ذكر ربه وانكبابه على الدنيا يبتغي سعادة الحياة وراحة النفس ولذة الروح ان يعذب بين أطباق هذه الفتن التي يراها نعماً ويكفر بربه بالخروج عن زي العبودية كما قال: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)) وهو الإملاء والاستدراج اللذين يذكرهما في قوله: ((سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)) [النقم/44-45]⁽⁴⁾.

خامساً: عطف الأولاد على الأموال في النص القرآني

الآيات جميعها في (ثمانية وعشرين موضعاً) ورد فيها اللفظان متعاطفين بلفظيهما أو بألفاظ مرادفة لهما، والغالب هو عطف لفظ الأولاد أو ما يردفه على لفظ الأموال أو ما يرافقه وذلك في (سنة وعشرين موضعاً) إلا في موضعين، - وجرى بيان سبب ذلك في دراسة دلالة مواضع التقديم - ⁽⁵⁾، واللفظان في الآيات الكريمة لا يعدوان دلالة الذم؛ إذ لم يؤت بهما إلا في الموارد التي يكونان فيها غير ممدوحين، منها قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)) [الأنفال/27,28] إذ إن الآية نزلت في أبي لبابة عن عبد المنذر الانصاري في قصة بني قريظة عند حصار رسول الله (ص) لهم. فكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم.⁽⁶⁾

كذا في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)) [التغابن/14,15] ففي الآيتين يدعو الله تعالى الناس ان يجتنبوا المنافع العابرة والمصالح الشخصية لئلا يسقطوا في الخيانة ولئلا يقعوا في الحب المفرط للأموال والأولاد الذي يؤدي إلى ما ليس فيه رضاه إذ إن الأموال والأولاد من أهم وسائل الابتلاء، فجاء التعبير في الآيتين بـ(إنما) التي تدل على الحصر. فالأموال مظنة الحمل على الخيانة

(1) البحر المحيط: 84/5

(2) التفسير الكبير: 123/16

(3) ينظر: البحر المحيط: 84/5، والتحرير والتنوير: 173_172/10

(4) الميزان: 309/9

(5) ينظر: ص 11-12 من البحث

(6) ينظر: البحر المحيط: 5/480 ومجمع البيان: الطبرسي: 423/4

وعلى التخلف عن العمل لدين الله وعطف الأولاد على الأموال هو لاستيفاء أقوى دواعي الخيانة ودواعي التخلف عن العمل لدين الله والجهاد في سبيله والعمل في مرضاته، فإن همّ الناس هو جمع الأموال ليتركوها من بعدهم لأولادهم فكأن هاتين الطائفتين (الأموال والأولاد) هما الفتنة نفسها⁽¹⁾.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في رواية عنه: (لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمَلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَقُولُ: ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ))⁽²⁾، قد يصل الحال بالإنسان بسبب ما يمتلك من قدرات وطاقت مادية وبشرية إلى أن يظن أنها تمنع عنه الهلاك وتحصنه من العذاب فيعتبر ولا يعتبر فيقول سبحانه لهؤلاء الذين سقطوا في فتنة الأموال والأولاد واغترّوا بها فضلوا: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ)) [إل عمران/10] ومثله قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [إل عمران/116]. ونلمح أن مصير الذين يقعون في خديعة انفسهم بالمال وكذلك الولد، انهم وقود النار وانهم فيها خالدون فلا الاموال اغنت عنهم ذلك العذاب ولا الاولاد فالآية الاولى انتهت بقوله تعالى: ((وأولئك هم وقود النار)) فالوقود ((بفتح الواو): ما توقد به النار وكل ما أوقدت به.⁽³⁾ وانتهت الآية الأخرى بقوله: ((وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)) وقد جيء بهما معطوفتين على ما قبلهما، ليشملهما التوكيد بـ(إِنَّ) الذي بدأت به كل من الآيتين بقوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...)) فضلا عن بدء كل من الجملتين المعطوفتين بالجملة الاسمية لتخصيصهم وحصرهم بل لتحقيهم حين استعمل اسم الإشارة الذي هو للبعيد لبيان انحدرهم وانحطاطهم عن منزلة المشير، والإخبار عنهم بضمير الفصل بأنهم حطب جهنم بإضافة الوقود إلى النار كونهم هم سبب إيقاد جهنم وسعيها الملتهب في الآية الأولى وإنهم أصحاب النار في الآية الأخرى (للزومهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها)⁽⁴⁾ وهؤلاء صفتهم أنهم خالدون فيها أحرى بما يؤول إليه أمرهم. ومثله قوله تعالى: ((لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [المجادلة/17]

الخاتمة

وقد تمخض البحث عن نتائج يمكن تلخيصها بالآتي:

- 1- ورد لفظا (الأموال والأولاد) مقترنين ويصاغ مختلفا في ثمانية وعشرين موضعاً واستغني بلفظ (أنعام) عن لفظ (الأموال) في موضع ولفظ ((القطاير المقنطرة من الذهب والفضة...)) في موضع آخر. كذلك استغني بلفظ (أهلونا) عن لفظ(الأولاد) في موضع، ولفظ (نفر) في موضع آخر.
- 2- تعددت صيغ لفظي (الأموال) و(الأولاد)، فوردا بصيغة الجمع بلفظ (أموال وبينين) وكان ذلك في سياق ذكر ألقاب الإمداد والامتنان والتذكير بالنعم. وبصيغة (أموال وأولاد) عندما يكون الكلام موجها إلى عامة الناس أو مجموعة كبيرة منهم. وبصيغة جمع القلة (ابناء) لمراعاة التناسق في الجملة القرآنية، وبصيغة المفرد عندما تستهدف فرداً أو أفراداً محددين، معرفين للتخصيص أو منكرين للتحقير وللتقليل من شأنهما إزاء نعم الله في الآخرة.
- 3- تنوعت الأساليب النحوية في آيات الأموال والأولاد إذ ورد أسلوب الاستفهام مرة واحدة وكانت دلالة الإنكار والتعجب، وتقدم لفظ الأموال على الأولاد في ستة وعشرين موضعاً، لأسباب عدة منها: إن الآيات كانت في سياق الحديث عن الإنفاق، أو الإمداد، أو الزينة، أو المدافعة، أو التقرب وغير ذلك من مسوغات التقديم وتأخر في موضعين؛ إذ كان السياق في مقام المحبة، فالأولى في هذا المجال تقديم الأبناء على الأموال، وورد أسلوب النفي في آيات الأموال والأولاد في (ستة) مواضع، إذ كانت الجملة المنفية في صيغة حصر بتعريف المسند إليه والمسند، وكان ورود أسلوب النهي في آيات الأموال والأولاد في (ثلاثة) مواضع تكررت فيها أداة

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 79-78/9، والامثل: 285/18

(2) مجمع البيان: 424/4

(3) اللسان: 4330/4

(4) التبيان: الطوسي: 568/2

- النهي إذ أعيد النهي في الآية ليشمل الأولاد في أن يكونوا - كما الأموال- سبباً في الانشغال عن ذكر الله، وورد النهي غير المكرر أيضاً في السورة نفسها للدلالة على النهي عن الإعجاب بالأموال والأولاد مجتمعين ومنفردين.
- 4- قد يراد بلفظ (أولاد) الذكور فقط أو الذكور والأنثى ولا يراد بلفظ (البنين) إلا الذكور فقط.
- 5- الأموال والأولاد يعدان من أهم مقاييس القيم الإنسانية للأفراد، إذ إنهما وسيلة لامتحان الإيمان والكفر والشخصية وفقدانها.
- 6- كانت دلالتها مقترنين في النصوص القرآنية جميعها في سياق الذم. وكثيراً ما يردان عند ذكر الكفار والمعاندين، فخطورتها تبرز عندما يقترنان؛ إذ إن جاذبية الأموال من جهة وحب الأولاد من جهة أخرى، قد يدفعان الإنسان إلى أن يقع في بعض الموارد في مضيق شديدة أو أن يسلك طريقاً قد لا يكون في رضا الله.
- 7- إن نعمتي المال والبنين عند الكفار كانت فتنة لهم ولغيرهم من المعاندين فيغرونهم واتباعهم بهما فيبقون على كفرهم وعنادهم ويزيدون طغياناً يظنون ان عنادهم لا يضرهم شيئاً لانهم لا يحسبون حياة بعد هذه الحياة، كما حكى الله تعالى من قول موسى كلمه (عليه السلام): ((رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)) (يونس/88).
- 8- إنما ذكر الله تعالى الكفار لأنهم لا ينجحون في هذه الفتنة وهذا الاختبار، ولكي يعتبر بذلك المؤمنون.
- 9- الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في وجوه البر طاعة لله والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم وفقهم في الدين ورسخهم للصالح والطاعة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- * إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، ط2، مطبعة سليمان زاده، قم، 1428هـ.
- * الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2005م.
- * البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت745)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 2007م.
- * التبيان في إعراب القرآن، ابو البقاء العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، احياء الكتب العربية، دت، د ط.
- * تفسير التبيان، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ)، تحقيق: أحمد قصير العاملي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف 1969م.
- * تفسير التحرير والتتوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التأريخ، بيروت (د.ت).
- * التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت606هـ)، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م.
- * التفسير المبين، محمد جواد مغنبة، ط4، دار الكتاب الإسلامي، 2005م.
- * تهذيب اللغة: ابو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (370هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ومحمد علي البجاوي، مطابع سجل العرب، (د.ت).
- * الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي، (د.ط)، (د.ت).
- * جمهرة اللغة: ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (321هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
- * ديوان طرفة بن العبد، شرحه د عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت (د.ت).
- * روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي (ت 1270هـ)، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م.

- * شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني (769هـ)، تحقيق: هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1990م.
- * شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد الأسترابادي النحوي (686هـ)، مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي (1093هـ) شرح مبهمها محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م.
- * الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (538هـ)، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة 2003م.
- * لسان العرب أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت 2005م.
- * مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت502)، تحقيق: لجنة من العلماء، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت 2005م.
- * المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (546هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية، 1428هـ - 2007م
- * المخصص: ابو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيده النحوي اللغوي الاندلسي، (458هـ)، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت (د.ت)
- * المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (911هـ)، تحقيق فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998
- * المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت770هـ)، إعتى به وراجعته: عزت زينهم عبد الواحد، مكتبة الإيمان، المنصورة (د.ت).
- * معاني القرآن واعرابه: ابو اسحاق ابراهيم ابن السري الزجاج (311هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988.
- * معاني النحو، د فاضل السامرائي، ط2، دار الفكر، عمان 2003 .
- * معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة 1972م.
- * المعجم الوسيط: ابراهيم مصطفى وآخرون، ط2، دار الدعوة، تركيا 1989.
- * مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، (761هـ)، تحقيق، د مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط1، مؤسسة الصادق، طهران 1378هـ.
- * مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت425هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط4، دار القلم، دمشق 1425هـ.
- * المفصل في صنعة الأعراب، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جار الله (538هـ)، تحقيق، دعلي بو ملحم، ط1، مكتبة الهلال، بيروت 1993.
- * الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، الطبعة التجارية، مؤسسة الأعلمي، بيروت (د.ت).
- * همزة الاستفهام في القرآن الكريم، عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي، مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، 1992.